٢٨٢

هجرة الرسول وصحابته
في
القرآن والسنة

أحمد عبد الغني النجولي الجمل

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ش.م.م

هذا الكتاب في الأصل بحث علمى نال به المؤلف درجة الماجستير بامتياز من كلية أصول الدين ـــ جامعة الأزهر ـــ بالقاهرة .

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة .

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ ..... ص.ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٥١٨ / ٣٩٣٤٦٠٦

إهـــداء

إلى اللَّذَيْن أعطياني الكثير ، لا يرُجوان جزاء ولا شكوراً ، وأملهما أن يرياني دائماً موفقاً ، إلى والِدَيَّ أهْلَى الفضل علىّ ، بارك الله فى عمرهما وجزاهما عنى خير الجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

وفاء الطالب يقتضي أن أشكر لأستاذي الدكتور : إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة إرشاده ورعايته وإقباله على كلما سعيت إليه أستصوب نظرة ، وأستفتح مغلقاً ، فكان يكفيني بعلمه وفضله وسعة صدره خجل السائل .

وأنا ــ والرسالة بين يدى قارئها ــ لا أرتب عليه من زللى ما أرتب على نفسى ، فإنه لم يأل جهداً في توجيهي أولاً وآخراً .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على سيد الخلق سيدنا محمد بن عبد الله الذى بعثه ربه رحمة للعالمين وأنزل عليه القرآن الكريم ، فهدى به الناس من ضلالة ، وعلمهم من جهالة ، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فسيظل التاريخ يسجل إلى الأبد ، أن الهجرة المحمدية حدث جليل من أبرز أحداثه ذكراً ، وأخطرها شأناً ، وأعمقها معنى ، وأبعدها أثراً .

وستظل الهجرة معيناً لا ينضب أبداً ، لأعذب المعانى ، وأصفى المبادىء ، وأسمى القيم ، لأنها تعد من الأحداث الفاصلة فى تاريخ الدعوة الإسلامية فكانت خاتمة لمرحلة كفاح من أجل الحق ـــ وهو كلمة الله وحده ـــ من دعاة لم يعتمدوا إلَّا على الإيمان بهذا الحق وحده وعلى أن النصر لهم حتماً فى النهاية ، فلم يكن المسلمون طيلة السنوات التى قضوها بمكة قبل الهجرة على حال من القوة العددية أو المادية ، ولم يكونوا فى مأمن من الخصومة العنيفة غير الشريفة من أعدائهم ، بل كان عددهم قلة ، وحالهم ضعفاً ، ووضعهم فى الحياة العامة وضع المخاطر ولكن إيمانهم وحده هوالذى جعلهم يحتملون هذا اللون القاتم المهان من الحياة هذه السنوات العديدة فى كفاحهم من أجل الحق .

وكما كانت الهجرة خاتمة لهذه المرحلة المريرة فى الكفاح من أجل الحق كانت بداية لمرحلة ثانية ، غلبت عليها قوة العدد والعدة عن ذى قبل بجانب قوة

الإيمان المستمرة ، التى لم تفارق الكفاح من أجل الحق حتى انتصر ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

الهجرة إذن صورة مميزة من صور الكفاح فى سبيل الحق ، ومظهر للإيمان القوى به . لم تكن إلّا صدى لبلاغ الأذى مبلغه من المهاجرين ، وصدى آخر لقوة احتمالهم لهذا الأذى وقوة صبرهم على الضيم والمكاره .

إن الهجرة النبوية كانت منطلقاً جديداً خصباً للدعوة الإسلامية ونشرها فى أنحاء العالم الواسع شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . حتى أصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وما ظنك بحدث أكسب المسلمين قوة ومنعة وأكسبهم نصراً على أنفسهم وعلى أعدائهم وعلى أهوائهم ، وكشف عن مواطن العظمة فى أولئك الكبار من أصحاب النبى ﷺ وفتح للدعوة الإسلامية فتحاً مبيناً ؛ فاتسع رحابها وانتشر عبيرها ، وأصبح الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، ويتسارعون فى الالتحاق بالأمة الإسلامية والاتصال بصاحب الدعوة ينهلون من صافى المعين وأصيل المورد الكريم ، وكان انتصاراً للمبادىء الإنسانية العليا ، وكان سبباً لتكوين دولة إسلامية لها أرضها وشعبها ومبادئها وكان وسيلة لفضح مؤامرات اليهود وكشف خبيئتهم وإبراز وسائلهم الخبيثة ، وأبرز عفن هذه الوثنية الحمقاء وكشف عن تفاهة أولئك المتعاظمين من سادات مكة الذين ظهروا على حقيقتهم عندما كشفها الصراع بين الحق والباطل ، إلى غير ذلك من المهام الجسام والغايات العظام التى لو تيسر واحد منها لكان أصدق شاهد على جلالة الحدث واستحقاقه من الباحثين أعظم حظ من الرعاية وبذل صادق الجهد فى التعرف على أبعاده والانتفاع بحكمته وعبرته ، فكيف لو توفر لهذا الحدث العظيم ــ أعنى حدث الهجرة الشريفة ــ كل هذه الغايات وغيرها كثير .

لهذا كله فقد رأيت مستعيناً بالله تعالى أن أتناول هذا الحدث بما يستحقه من البحث والدراسة تناولاً تتجلى منه عبره العظام وحكمه البالغات .

وبالله التوفيق .

وهذه خطة الرسالة

المقدمة : أهمية الموضوع ــ سبب اختيار الموضوع .

تمهيد : ويشتمل على مبحثين :

الأول : ورود مادة هجر فى لغة العرب .

الثانى : هجرة مَنْ قبله ﷺ من الأنبياء .

الباب الأول : كيف كان موقف المشركين من دعوة الإسلام هو الحامل لأهلها على الهجرة .

الفصل الأول : الأسباب التى جعلت المشركين يقاومون الإسلام .

الفصل الثانى : الوسائل التى استخدمها القرشيون ضد الدعوة الإسلامية .

الباب الثانى : هجرة الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ إلى الحبشة .

الفصل الأول : الهجرة الأولى وما وقع فيها .

الفصل الثانى : الهجرة الثانية وما وقع فيها أيضاً .

الباب الثالث : هجرة الرسول وصحابته إلى المدينة .

الفصل الأول : طور الإعداد للهجرة .

الفصل الثانى : تنفيذ الهجرة .

الفصل الثالث : صفات المهاجرين .

الفصل الرابع : النتائج المترتبة على الهجرة .

الفصل الخامس : أحكام الهجرة .

الخاتمة : عبرٌ مستخلصة .

وبعد .

فهذه كلمة موجزة عن موضوع الرسالة ، والدوافع التى حفزتنى إلى اختياره لخطة التى سرت عليها فى بحثه ودراسته .

هذا وأرجو أن أكون ـــ بهذه الرسالة ـــ قد أضفت إلى العلم شيئاً جديداً ، وقدمت إلى مكتبة التفسير وعلوم القرآن بحثاً جاداً .

فإن كنت قد أصبت فى بحثى هذا فذلك من فضل الله وعظيم توفيقه وإن كنت قد أخطأت فذلك منى ومن الشيطان ، وأسأل الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرزقنى حسن القبول ، وأن يهيىء لى من أمرى رشداً ، إن ربى سميع مجيب .

أبو محمد

أحمد عبد الغنى محمد النجولى الجمل

تمهيد

المبحث الأول : مورِدُ مادة هَجر فى لُغة العرب .

المبحث الثانى : هجرة من قبله ﷺ مِن الأنبياء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول

الاستعمال اللغوى لمادة هجر

الهجرة فى الأصل الاسم من الهَجْر ضد الوصل : يقال : قد هَجَرَهُ هَجْراً ، وهِجْراناً ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض وترك الأولى للثانية(١) ، وقد جعل ابن فارس لمادة « هجر » أصلين : أحدهما : يدل على القطع : والآخر : يدل على الوصل .

قال :

« والهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع ، والآخر على شد الشيء وربطه(٢) » ثم أخذ يمثل للاستعمال الأول قال :

فالأول الهَجْر : ضد الوصل ، وكذلك الهِجْران ، وهاجر القوم من دار إلى دار تركوا الأولى للثانية ، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة .

---

(١) راجع النهاية فى غريب الحديث والأثر : لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير ٤ / ٢٣٩ ط بالمطبعة العثمانية ١٣١١ هـ ، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ٢ / ٨٥١ تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار . دار العلم للملايين . ط ثانية بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ، لسان العرب لابن منظور مادة هجر . ط دار المعارف ، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ٣ / ٦١١ مع ملاحظة أن استعمال مادة « هجر » فى الهجر الذى هو ضد الوصل استعمال عام ، واستعمالها فى مجرد الخروج من أرض إلى أرض استعمال خاص .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٦ / ٣٤ تحقيق / عبد السلام هارون . ط . ثانية بمطبعة مصطفى الحلبى بمصر ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ .

وتهجَّر الرجل تشبه بالمهاجرين . وفى الحديث : « هاجروا ولا تَهَجَّروا » أى أخلصوا الهِجْرَة لله ولا تتشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم(١) .

ومن الباب : الهَجْرُ : الهذيان . يقال : هَجَر الرجل . والهُجْر الإفحاش فى المنطق . يقال : أهجر الرجل فى منطقه(٢) .

قال أبو عبيد : فى حديث النبى ﷺ : « وإنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هُجْراً(٣) .

قال أبو عبيد : قال الكسائى عن الأصمعى وغيرهما : قال : الهُجْر الإفحاش فى المنطق والخَنا ونحوه . يقال منه : أهجر الرجل يُهْجِرُ إهْجَاراً .

قال الشماخ :

كما جِدَةِ الأعراق قال ابن ضَرَّةٍ : عليها كلاماً جار فيه وأهْجَرَا(٤)وفى حديث أبى سعيد الخدرى أنه كان يقول لبنيه : « إذا طفتم بالبيت فلا تلغوا ولا تُهجِروا »(٥) .

قال أبو عبيد : وجه الكلام عندى : تُهْجِرُوا فى هذا الموضع ، لأن الإهجار ، كما أعلمتك من سوء المنطق وهو « الهُجْر » وأماالهَجْرُ فى الكلام فإنه الهَذَيان مثل كلام المحموم والمبرسم يقال منه : هَجَرْتُ فأنا أهجرُ هَجْرَاً وهُجْرَاناً ، فأنا هَاجِرٌ ، والكلامُ مَهْجُور(٦) .

---

(١) المرجع السابق ، النهاية : ٥ / ٢٤٥ ، الصحاح : ٢ / ٨٥١ .

(٢) المقاييس : ٦ / ٣٥ .

(٣) غريب الحديث لأبى عبيد : ـــ ٢ / ٦٣ ، طبعة مصورة عن مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م ، النهاية ٤ / ٢٤٠ .

(٤) البيت للشماخ بن ضرار التغلبى ، من بحر الطويل ، وانظر غريب الحديث لأبى عبيد ٢ / ٦٣ ، والصحاح ٢ / ٨٥١ ، اللسان ٦ / ٤٦١٨ وهذا البيت يحمل صورة لمشبه به فى تشبيه تمثيلى ونحن لم نعزف هيئة المشبه التى لا بد وأن تكون مذكورة فى بيت قبله : والصورة التى معنا هي صورة امرأة شريفة من معدن شريف أساء إليها ابن ضرتها نكاية بها وتشهيراً بسمعتها فأشاع عنها أقوالاً جائرة لا تتورع عن الإفحاش الآثم . والشاهد فيه استعمال أهجر بمعنى أفحش .

(٥) غريب الحديث لأبى عبيد ٢ / ٢٦٣ ، النهاية ٥ / ٢٤٦ .

(٦) غريب الحديث ٢ / ٦٣ .

ورماه بالهاجرات ، وهى الفضائح ، وسُمى هذا كله ، لأنه من المهجور الذى لا خير فيه(١).

ويقولون هذا شيء هَجْرٌ ، أى لا نظير له ، كأنه من جودته ومباينته الأشياء قد هجرها(٢) .

قال الأزهرى : وسمعت العرب تقول فى نعت كل شيء جاوز حده فى تمامه : إنه لمُهْجِرٌ ، وناقة مُهْجِرة ، إذا وصفت بالفراهة والحُسن ، وإنما سمى ذلك إهْجَاراً ، لأن ناعته يخرج فى نعته عن الحد المقارب المشاكل للمنعوت إلى نعت يفرط فيه ، فكأنه يهذى ويهجر(٣) .

قال : قال أبو عبيد قال أبو زيد : يقال للنخلة الطويلة : ذهبت هَجْراً ، أى طولاً وعظماً والمادة فى كل ما تقدم تدل على القطع ، وفى دلالتها على القطع إما تدل على قطع خاص وإما تدل على قطع عام .

فالأول : مطلق الخروج من أرض إلى أرض قال الأزهرى : وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدينة . يقال : هاجر الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل مُخْل بمسكنه متنقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه ، وسُمى المهاجرون مهاجرين ، لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشئوا بها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ، ولا مال حين هاجروا إلى المدينة . فكل من فارق بلده من بدوى أو حضرى وسكن بلداً آخر فهو مهاجر .

والاسم منه الهِجْرة . قال الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً** ﴾(٤) .

---

(١) مقاييس اللغة ٦ / ٣٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى ٦ / ٤٣ تحقيق عبد السلام هارون واخرين . ط الدار المصرية للترجمة والنشر .

(٤) من الآية ١٠٠ من سورة النساء ز وانظر تهذيب اللغة ٦ / ٤٢ ، واللسان ٦ / ٤٦١٦ ، تاج العروس ٣ / ٦١١ .

والثانى : ـــ القطع العام ـــ فعند استعمال المادة فى شيء فاق غيره من أفراد نوعه

يقولون : هذا شيء هَجْرٌ ، أى لا نظير له ، كأنه من جودته ومباينته الأشياء قد هجرها .

ويقولون : هذا أهجر من هذا أى أكرم ، وقد يقال فى كل شيء .

والهَجِرُ : الحوض الكبير سمى به لأنه شيء يقتطع للماء[1] .

ونعود إلى ابن فارس لنناقشه فى رأيه الخاص بدلالة المادة على الوصل ـــ وإن كان قد ترك التمثيل له ـــ متتبعين ما ورد فى كتب اللغة مما يوهم دلالتها على الوصل فمنها .

الهِجِّير ، مثال الفِسِّيق : الدأب والعادة ، وكذلك الهِجِّيرى ، والإهجِيرَى .

يقال : ما زال ذاك هِجِّيراه وإهْجِيرَاه أى عادته وذأبه .

الأصمعى : الهِجَار : حبل يُشَدُّ فى رسَغ البعير ، ثم يُشَدُّ إلى حقوه . تقول منه : هجَّرت البعير أهْجُرْه هَجْراً .

وَهِجَارُ القوس : وترها . ويقال : المهجور : الفحل يشد رأسه إلى رِجْلِهِ[2] .

هذه الأمثلة جعلت ابن فارس يتوهم دلالتها على الوصل وفيه نظر .

فما ورد مما ظاهره معنى الوصل يمكن أن يرد إلى المعنى الأصلى للمادة وهو القطع ، فقولهم الهجير والهجيرى والإهجيرى بمعنى الدأب والعادة ، وقول من قال إنها بمعنى الوصل لما فيها من المواصلة والمتابعة يمكن أن يرد إلى معنى القطع ، فإذا قيل فلان هجيراه كذا أى عادته . تفهم على معنى أنه هجر كل مظاهر السلوك ولزم هذه العادة فدأبه وعادته انقطاعه عما سواها .

---

(١) مقاييس اللغة ٦ / ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) الصحاح ٢ / ٨٥١ ، اللسان ٦ / ٤٦٢٠ مادةهجر .

أما قولهم : الهجار بمعنى الحبل الذى يشد فى رسغ البعير ثم يشد إلى حقوه ومنه هجرت البعير أهجره هجراً .

وهجار الفرس وترها ويقال المهجور الفحل يشد رأسه إلى رجله .

من نظر إلى معنى الشد والربط فنظرته سطحية إذ هذا الرباط ليس سوى وسيلة تجعل البعير مهجوراً أى مقطوعاً عن غيره ، فكأنها آلة هجره أى قطعه عن الحركة .

هذا ويرى بعض المحدثين(١) إضافة وزن فِعال إلى أوزان اسم الآلة القياسية إلى جانب ما عده علماء اللغة من أوزانها القياسية الثلاثة المعروفة ، مِفْعَل ــ كمِبْرَد ــ مِقْفَال ــ كمحراث ــ مفعلة كمكنسة . واستأنس لهذا الرأى بكثرة ما ورد على فِعَال مفيداً معنى الآلة مثل سِقاء ــ وِكاء ــ غِطَاء ــ ضِماد ــ لِحاف ــ رِباط ــ جراب ــ لِجام ــ خِطام ، هِجار(٢) .

على أنه يجب أن نعلم أن هناك فرقاً بين الهَجْر والهِجْرَة ــ فالهجرة اسم بمعنى المهاجرة ، فالهجرة اسم مصدر ، والنبى ﷺ لم يهجر مكة وإنما هاجر منها .

فالمهاجرة فيها معاناة أو مقاساة وصراع داخلى ناشىء من صيغة التفاعل . ويؤكد هذا أن النبى ﷺ قال عند مهاجره والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى ولولا أنى أُخْرِجْتُ منك ما خرجت »(٣).

والمُهَاجَر ــ المكان الذى يهاجر إليه فالشام مُهَاجَرُ إبراهيم ، والمدينة مُهَاجَرُ النبى ﷺ ، فالمُهَاجَر هنا مصدر ميمى بمعنى المهاجرة أو الهجرة .

ويمكن أن تكون الهِجْرة اسم هيئة من الهَجْر ، فى هجر مخصوص على هيئة مخصوصة هى هيئة المهاجرة .

---

(١) راجع ص ٢٥٠ من مجلة المجمع اللغوى ، العدد الخاص بالبحوث والمحاضرات التى ألقيت فى مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ وكذلك ص ١٩ من كتابه الذى أخرجه ١٩٦٩ باسم « كتاب فى أصول اللغة » عن كتاب النحو الوافى للأستاذ الدكتور عباس حسن ج ٣ ص ٣٣٧ : ٣٣٨ ط خامسة دار المعارف ١٩٨٠ بتصرف .

(٢) آلة قطع البعير عن الحركة .

(٣) سنن ابن ماجه كتاب المناسك باب فضل مكة . ط . عيسى الحلبى ، الجامع الصحيح . وهو سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، كتاب المناقب باب فضل مكة قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح . ط . مصطفى البابى الحلبى بتحقيق الأستاذ / أحمد محمد شاكر .

المبحث الثانى

هجرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

لم يكن سيدنا محمد ﷺ أول من هاجر من الرسل ، ولم تكن هجرته عليه الصلاة والسلام هى الهجرة الوحيدة فى تاريخ الرسل والأنبياء ، فلئن كان قد هاجر من وطنه ومسقط رأسه مكة من أجل الدعوة الإسلامية ، وإيجاداً لبيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها ، بل تزود عنها ، فإن بعض إخوانه الأنبياء « عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأزكى التسليمات قد هاجروا قبله من أوطانهم لينشر كل منهم دعوته .

ومن الأمور التى يسلم بها كل باحث ما رآه الأستاذ محمد السمان وعبر عنه بقوله : « إن بقاء الدعوة فى أرض قاحلة لا يخدمها ، بل قد يعوق مسارها ، ويشل حركتها ، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر فلا تملك أن تتنفس الهواء الطلق الذى هو ضرورى لسلامتها وبقائها ، وقد جرت سنة الله فى خلقه ، أن يقبل البعض من خلقه على دعوات رسله وأنبيائه فتشرق نفوسهم لهدايته ، وتشف أرواحهم وتنشرح صدورهم ، وتتفتح عقولهم ، وتستجيب قلوبهم ، وأن يُعرض البعض الآخر عن دعوات أنبيائه ورسله ، فتتبلد نفوسهم إزاء هدايته بسحب الغى والضلال ، وتتبلد عقولهم ، وتنقبض صدورهم ،وتنغلق أسماعهم فينشأ صراع بين الحق والباطل ، ونضال بين الهدى والضلال . وتخضع القضية بعد ذلك لشىء من الموازنة . فإذا كانت الفئة المؤمنة من أتباع الحق من القلة بحيث تصبح ولا تملك إلّا أن تظل مستضعفة فى الأرض ، مغلوبة على أمرها ، تتلقى من